مَرزُوقَة

إيهاب سليمان

بدَت بطلعتِها البهية على خشبةِ المسرح وهي تتقدم في خطواتٍ رشيقةٍ واثقةٍ إلى مُنتصف المسرح لتسلم جائزتها البرّاقة ذهبية اللون وتعلو محياها ابتسامة ساحرة تكشِف عن أسنانٍ ناصِعة البياض صفَّت كحبَّاتِ لؤلؤٍ، تَلتَمِعُ عَينَيها في جزلٍ ونشوةٍ.

ما إن وصلَت إلى الرجل الذي يَحمِل جائزتها حتَّى صافَحتهُ بحرارة وهي تمسك بيدها الأُخرَى الجائزة وتُديرُ وجهها تجاه الجمهور لتستقبل تصفيقًا حادًّا وانطلاق عدسات المصورين تتسارع في عجلٍ محمومٍ خاطفة للأبصارِ عنوة في محاولةٍ مِنهُم لالتقاط أكبر عددٍ ممكنٍ من الصور لهذه النجمة المحظوظة.

"مرزوقة الصايغ" كان هذا اسمها، لطالما خاضت مناقشاتٍ ومجادلات عِدة مع المنتجين والمخرجين اللذين كانوا يُصِرّون ولازالوا على منحها اسمًا فنيًّا لثقل اسم "مرزوقة" على الجمهور فهو اسم غير معهود مغرقٌ في القدم، ولكنَّه مشبَّع بروح اللغة العربية الأصيلة،

ولكن لم يكن هذا سر إصرارها على عدم تغيير اسمها ولكن كان السبب يكمن في المعنى الحقيقي للاسم، "مرزوقة" أي لها نصيب وافر من الحظ، وتيمنًا بهذا المعنى انطلقت "مرزوقة" في مسيرتها الفنية مصحوبة بفأل الرزق الوافر، ومصحوبة أيضًا بنظراتِ المعجبين التي كانت تزيد يومًا بعد آخر ويزيد معها كم الحليّ البراقة التي تُزين جيدَها العاجي وأصابعها المرمرية ورسغها الرقيق.

انحنت "مرزوقة" تحية لجماهيرها المحبة ورفعت جائزتها عاليًا بكِلتا يديها وظلّت لثوانٍ ثابتةً على هذا الوَضع مانِحةً الفُرصة لعدسات المصورين لنهش جسدها الممشوق المرسوم داخل الفستان الضيق الذي يبرق بحباتٍ من الكريستال النقي.

في هذه اللحظات القَليلة غاصت "مرزوقة" في بحر أفكارها العميق متسائلة: إذا كانت الحياة قد منَّت عليّ بكل هذه النعم: الصحة، والمال، والجمال والشهرة.. ولا يوجد ما أفتقده في هذه الحياة، فلماذا إذا تغزوني تلك الدموع ليلًا؟ لماذا أشعر بتلك الغصة تخترق حلقي غسقا؟ لماذا أنا مكرهة على الحياة بوجهين على النقيض من بعضهما تمامًا

والأدهى أن كلاهما لا يعبر حقيقةً عن ماهيتي الحقيقية الدفينة؟

أمام عدسات الكاميرا أنا النجمة المتألقة التي تستقي منها الفتيات آخر خطوط الموضة مشبعين بشعور قوي هو مزيج بين الإعجاب والغيرة في آنٍ واحد، أما الشباب فهم يستقون منّي شيئا آخر.

أما خلف الكواليس فأنا النجمة أيضًا ولكن المتعجرفة الحانقة على جميع المحيطين بها ممن هم في خدمتها دومًا على كافة المستويات.

أما ماهيتي الحقيقية فهي المرأة التعيسة التي انغمست في الثراء والشهرة بما يمثلان من طاقة إيجابية ورغم ذلك تعاني من الوحدة، وتعاني من الخوف.. نعم الخوف، فكلما ازدادت لذة النعمة كلما ازدادت لوعة الفقدان ألمًا.

ماذا سيحدث عندما يذهب الجمال وتزحف التجاعيد على قسمات وجهي بقسوة بلا رادع مخلفةً جسدًا مترهلًا غير مرغوب لم يبق منه إلَّا آثارًا مطموسة من جمال قد ولى، وتنحسر أضواء الشهرة وتنسحب السجادة الحمراء من تحت قدمي وتتجه عدسات المصورين والفلاشات البراقة إلى من هي أكثر مني جمالًا وأوفر حظًّا وأقل عمرًا

بالطبع؟ ماذا سيبقى؟ فأنا بلا وليفٍ أو ونيسٍ يؤنس وحشتي، وبلا أبناء، فقد أراد القدر أن أُحرم إلى الأبد من شعور الأمومة على إثر عملية جراحية كنت قد خضعت لها منذ سنوات لاستئصال جزءٍ أصيلٍ وضروريٍّ لإتمام عملية الحمل بنجاح.

وقد أورثتني شهرتي وجمالي شعورًا قويًّا بالاستغناء عن الرجال بتحكماتهم البلهاء.

أفاقت "مرزوقة" وطفت على سطح بحر أفكارها ذو الأمواج المتلاطمة على صوتٍ يدوي في مكبرات الصوت باسمها في حماس: مرزووووقة.

فانتبه وعيها لواقعها مرة أخرى وبابتسامة مغتصبة أبرزت خلجاتٍ على جانبي عينيها دلالة على زيف ابتسامتها وهي تقبض بكلتا يديها على جائزتها الذهبية تضمها لصدرها فخرًا وتهبط درجات المسرح متهاديةً وسط تصفيقٍ هائلٍ من الجمهور وفلاشات الكاميرات وهي تسير على بساطها الأحمر بفخرٍ ورويَّة تنثر ابتساماتها وإيمائاتها

الممتنة على المحيطين ولازالت هناك غصةٌ تغزو حلقها ولوعةٌ تعتصر قلبها.

همس أحد الصحفيين في أذن مرافقه مبتسمًا: يا لها من امرأة قد منَّت عليها الحياة بكل سبل النعم، أليست محظوظة حقًّا؟ بورك من سماها بهذا الإسم؛ إنها صدقًا مرزوقة.